العرب
الثلاثاء 2020/12/08
السنة 43 العدد 11905

إذا كنت تريد الكتابة فكن الوجه والمرآة معا

من أصابته لوثة الكتابة سوف يكتب متى وأينما وكيفما شاء

تحتاج الكتابة مثل غيرها من الأفعال الإبداعية إلى خلق مسافة مطاطية بين النص وكاتبه، مسافة تطول وتقصر حدّ الالتصاق بنقطتها الأولى الذات، لكن هذه اللعبة قليلا ما يتقنها المولعون بالكتابة في العالم العربي، حيث القراء يمارسون رقابة قاسية على كل الأقلام، ولاسيما النسائية، ويقرنون الأبطال الخياليين بذات الكاتب، وهذه بداية علاّت حال الأدب العربي.

إبراهيم عياري

إن من يكتب بلغة أو لهجة لا يحلم ولا يغضب ولا يشتم بها، يصبح أكثر إتقانا لها لأن المسافة تسمح له بالتزويق والدخول في غواية التحدي ولذة الذهاب نحو الآخر، فليس هناك ما هو أروع من تقبيل الحياة بأكثر من فم.

هناك كتّاب دون منابر وهناك منابر دون كتّاب، هذا هو حال الكتابة في عالمنا العربي الذي ما زال قائما

علمتني تجربتي الشخصية في كتابة النص المسرحي السوري وبالعامية الدمشقية جمال الانتماء الإرادي وسحر التوأمة بين أرصفة العالم وعدم السخرية من اللهجات، وماذا يعني أن تقول لكل الناس: إني أحبكم.

مسافة كالمطاط

الانتماءات كالأثواب، تضايقنا أحيانا، نبدلها، نقصر فيها أو نوسع، ولكننا لا نستغني عنها، فما أصعب وما أمرّ من أن تقف على تخوم الأشياء وأطرافها، تلامسها ولا تحضنها، تبللك ولا تستحم فيها، وكأن قدرك أن تكون ناظر محطة يعرف مواعيد القطارات واتجاهاتها دون أن يركبها.

أستغرب أحيانا من الذين لا يجدون إلا أنفسهم وحياتهم الخاصة مادة للكتابة الروائية، هل أصيبوا بقصر النظر أو الفقر في الخيال والمعاشرة؟ هل أن حياتهم استثنائية إلى هذا الحد؟ أم أن المشكلة تكمن في سعيي أنا نحو الهروب من مكاشفة الذات على الورق وعجزي على العيش تحت الشمس وتحمل الشتائم قبل القبلات.

الأعمال الفنية العربية التي أدغمت فيها شخصيات الكاتب بالراوي بالشخصية الأساسية ضمن صوت واحد وصريح ومعلن قليلة جدا، لا بسبب الرغبة في النزوع نحو الالتباس الفني، وإنما خوفا من مصارحة قد ترخي بتبعاتها على الأهل والأصدقاء.

أعرف امرأة انفصلت عن زوجها بسبب رواية كتبتها، لأن رجلا قد ظهر ويزعم أنه بطلها الفحل المقصود متنقلا بنسخة من الرواية بين المقاهي وقد وضع خطا تحت اسمه المغوار، وأعرف رجلا فضح سره الورق فتسابق الناس على نبذه وأوغل في الغربة والانبتات فصغر حجمه في عيون الآخرين بسبب تحليقه عاليا.

كما عاتبت شخصيا لقمان ديركي وأدنته من فمه على النيو لوك الذي أطل به بعد أن قال في قصيدة سحيقة "وما وضع في عنقه زردا وما نقش وشما على ساعديه ولكنه كان يمشي في الشوارع المزدحمة كعلامة فارقة".. ربما سيكتب لقمان قصيدة أجمل لو يعترف يوما بنكوصه لعهده في لحظة اعتراف لا يعترف بها إلا الشعر وعلى شاكلة أن موت المتنبي الشهير كان أكثر شعرا من بيته الذي قتله.

الخائفون هم الذين لا يستطيعون الحديث عن خوفهم والشرفاء هم الذين تحدثوا عن عارهم بشرف، وأروعهم هم الذين تحدثوا عن غيرهم بأنفسهم أو عن أنفسهم بغيرهم فكانوا الدمية ومحركها ولم يتحدثوا عن الكتابة فما أنبل وما أعظم أن يكون الواحد الوجه والمرآة وتصنع المسافة من مادة المطاط، تطول وتقصر كما نريد لها أن تكون دون أن نخاف إلا من الخوف.

قد يتهافت كتّاب دون غيرهم على منبر إعلاميّ دون غيره وهم في ذلك يشبهون ركّابا يتزاحمون على الجلوس في المقاعد الأماميّة لحافلة ستوصل الجميع دون استثناء ونحو محطّة واحدة، ولكنّ الأخيرة لا تعترف إلا بالأفضل.

عشق مزمن

أدمن بعض محترفي التهميش والإقصاء ثقافة التغييب والإسكات رغبة منهم في الاستحواذ على المنبر ولا يعلمون أنّ كلمات الكبار تسمع دون ميكروفونات، بل وتصبح أكثر تأثيرا إن هم آزروا المقاعد الخلفيّة.

الكتابة أكثر الأفعال فصلا ووصلا (لوحة للفنان تحسين الزيدي)

يعلم التاريخ البشري أنّ كتّابا كثيرين كتبوا بأسماء مستعارة لسبب أو لآخر، وأنّ آخرين كتبوا بأسماء معارة لسبب أو لآخر، ويعلم التاريخ أيضا أنّ فئة أخرى توقّفت عن الكتابة لأسباب أو لأخرى، ولكنّه احتفظ بأجمل ما كُتب واعترف بأجمل ما لم يكتب وقدّر الأسباب ونسي الآخرين.

من أصابته لوثة الكتابة سوف يكتب، متى وأينما وكيفما شاء: على الجدران والطاولات والهواء، سوف يكتب بقلم أو إصبع أو دون أصابع، وسوف ينشر على صحيفة أو موبايل أو حبل غسيل، وسوف يقرأ له قارئ أو أميّ أو جني. وسوف يقول له شخص ما "أحسنت"، وإن كان بقّالا في حارته، أو امرأة تحبّه أو حتى مرآة صباحيّة كشفته ذات صباح متلبّسا بالحلاقة والندم.

الكاتب الذي يتنقّل بين المنابر المختلفة كالطير الذي لا يستكين إلى شجرة واحدة، شرط أن لا ينسى جناحيه وطريقته في التغريد.

الكاتب الذي يثبت في مكانه طويلا يتحوّل مع الوقت إلى رسم تبهت ألوانه فيملّها الناس وما أدراك ما الملل. الملل إذن هو روح تموت وتتفسّخ داخل جسد ما زال حيّا ونضرا. قد نتذكّر لون الأسطح والقرميد والأشجار والحقول، ولكن من يتذكّر منّا لون الحرباء؟ من يتذكّر لون البراري قبل أن يمرّ عليها الربيع بألوانه! من يتذكّر أسماء الأباطرة والملوك في عهد دانتي وشيلر وراسين وغوته؟

يخيّل للمرء أنّ الصخرة التي يدفعها سيزيف كل صباح هي حصان امرئ القيس الذي حطّه السيل من عل، وهي كناية عن الكاتب الذي يعي جيّدا وهم القمّة ومع ذلك يسعى إليها، أمّا سيزيف فهو هوس الكتابة وغليان الحبر في الأقلام.

هناك كتّاب دون منابر وهناك منابر دون كتّاب، هذا هو حال الكتابة في عالمنا العربي وسيظل هذا الخلل قائما ما أقامت بيننا الضغائن والمحسوبيات الضيّقة، بل الأمر جزء من جدليّة المناسب وغير المناسب التي وقفنا أمامها كمعضلة دون حلول.

الغريب في الأمر أنّ كتّابا يشتكون من ضيق الهامش واتّساع التهميش ضدّ أهل المهنة يمارسون – هم أنفسهم - أشنع الأساليب ويأتون بمثل ما يدّعون مقارعته ومواجهته.

لقد كان الجاحظ دقيقا حين فرّق بين الكتّاب والكتبة ووصف الكتابة بالصنعة أو المهنة وليس الامتهان لأنّه ارتهان، أمّا الهواية فغواية وما أجمل الغواية حين تمسي عشقا مزمنا وعصيّا عن المنابر والتصنيف.

«شرطة» فيلم دنماركي يتنبأ بمستقبل أوروبا العنصري

القاهرة – بقدر اندهاش العالم من واقعة وفاة المواطن الأميركي الأسود جورج فلويد على يد الشرطة أواخر شهر مايو عام 2020 وما تلا ذلك من تبعات واحتجاجات غاضبة وأعمال عنف هزت الولايات المتحدة الأميركية، يبعث الفيلم الدنماركي "شُرطة" برسالة مفادها أن الوضع لا يقل خطورة في أوروبا بين الأقليات والمهاجرين وبين سلطات الأمن.

الفيلم بطولة جاكوب لوهمان وسيمون سيارس وطارق زيات، وهو من إخراج فريدريك لويس هفيد وأندريس أولهولم، ويشارك في المسابقة الرسمية لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي.

تبدأ أحداث الفيلم بواقعة مماثلة تماما لما حدث في الولايات المتحدة، حيث يرقد مراهق أسود في المستشفى بعد تعرضه للعنف أثناء القبض عليه على يد شرطيين، وتندلع أعمال شغب في أحياء السود والمهاجرين من عرقيات مختلفة خارج العاصمة كوبنهاغن.

وفي إطار الحذر والخوف من تصاعد الموقف يأمر قائد الشرطة اثنين من رجاله بالخروج في دورية مشتركة رغم تناقض موقف كل منهما مما يحدث، فالأول داعم للمهاجرين وحقهم في الاندماج والمعاملة على قدر المساواة مع المواطنين بينما يريد الآخر إبعادهم عن البلاد وإعادتهم من حيث جاؤوا.

تتطور الأحداث ليجد الشرطيان نفسيهما داخل حي تسكنه أغلبية عربية ويشتبه الشرطي الرافض للمهاجرين في مراهق من أصل عربي ويعتقله، لكن قبل أن يغادر الثلاثة الحي تشيع أنباء وفاة المراهق الأسود الذي كان بالمستشفى، فيتأزم الوضع وتتعرض سيارة الدورية للهجوم وتتحطم.

يبدأ الثلاثة رحلة هروب تضفي على الفيلم أجواء مثيرة إذ يلاحقهم المتظاهرون الغاضبون من شارع إلى آخر حتى يختبئوا داخل بناية، وهناك يتبين أن إرسال الشرطيين معا في دورية مشتركة لم يكن من قبيل المصادفة بل بهدف الضغط على الشرطي الداعم لحقوق الأقليات لتغيير موقفه.

وفي نهاية ليلة شاقة يستسلم الشرطي الداعم للأقليات لمطارديه بعدما تورط بطريق الخطأ في قتل مراهق عربي، بينما ينجح الشرطي الآخر في الخروج من الحي بعد أن تغيرت قناعته تماما.

وفي ندوة أقيمت بمهرجان القاهرة السينمائي عقب عرض الفيلم قال بطل العمل جاكوب لوهمان إن الكتابة والتصوير سبقا واقعة جورج فلويد في الولايات المتحدة بنحو خمسة أشهر.

وأضاف أن التطابق بين الفيلم وما حدث في الواقع أذهل منتجيه الذين كانوا يريدون في الأساس تناول إحدى القضايا التي تؤرق المجتمعات الأوروبية بشكل كبير.

من جانبها، قالت المنتجة المشاركة في الفيلم سيجنه ليك ينسن إن العمل سعى إلى عدم الانحياز لوجهة نظر دون غيرها أو لطرف على حساب آخر إنما كان في مخيلة منتجيه ناقوس خطر لما يمكن أن يحدث بعد 15 أو 20 عاما لكن الأمور تطورت عالميا بأسرع من المتصور.

وأضافت أنه قبل الشروع في الفيلم أجرى القائمون عليه الكثير من البحوث والنقاش والمقابلات مع الأقليات والمهاجرين العرب الذين يعيشون في الدنمارك كما عرضوا عليهم الفيلم في صورته النهائية وحاز على قبولهم.

ونذكر أن مهرجان القاهرة السينمائي يعلن جوائزه في العاشر من ديسمبر الجاري.

العنصرية تهدد أوروبا

الفيلم يفضح ظاهرة العنصرية في أوروبا دون انحياز إلى وجهة نظر ويدق ناقوس الخطر حول المستقبل

«يوم سلطانة» رواية تبحث عن الجذور في الماضي

مسقط – في تجربة روائية مثيرة يقدم الكاتب العماني معاذ بن خلفان الرقادي عمله الأدبي الأول "يوم سلطانة"، الصادر عن دار "لبان للنشر" العمانية، ليرسخ حضوره ككاتب هذه المرة متحديا الظروف كونه يعاني من "إعاقة بصرية"، والتي لم تمنعه من الحصول على براءات اختراع في عالم الميكانيكا من الولايات المتحدة.

يضع تحت العنوان الرئيسي للرواية سطرا تعريفيا آخر يوضح أن الفكرة هي "رحلة البحث عن الجذور من ضواحي موسكو إلى الكابيتول"، ويشار في الغلاف الأخير إلى أنها "مغامرة مثيرة بقدر ما هي ممتعة، وحبكة سردية تمزج الخيال بالواقع".

عبر صفحات الرواية ينسج الكاتب خيوط رواية مسلية لحكاية حدثت في القرن التاسع عشر مع وجود جريمة سرقة لعقد لؤلؤ خلال رحلة السفينة العربية سلطانة، فيقوم أستاذ علم النفس في كلية موسكو للمساعدة في العثور على العقد الذي تعود ملكيته لفتاة عربية مهاجرة، ويسير التحقيق الجنائي وصولا إلى مدينة نيويورك الأميركية في أحداث غريبة غير متوقعة.

الرواية تبدأ من حكاية حدثت في القرن التاسع عشر على سفينة عربية وصولا إلى موسكو ثم أميركا

والرواية تبتعد عن الجو البوليسي المتوقع لتتناول جوانب من تاريخ الإمبراطورية العمانية وعلاقتها بالقوى الغربية حتى منتصف القرن العشرين، حيث تتنقل الشخصيات بين ثقافات ومدن في أميركا وأوروبا، فتمتزج أحداث الماضي باكتشافات الحاضر والتقنية الحديثة.

يقسّم معاذ الرقادي روايته إلى سبعة عشر فصلا، تبدأ بالأول الذي حمل عنوان "لقاء الجذور" مرورا بمرسى نيويورك 1840، وصولا إلى الفصل الأخير حيث "لا بد من نهاية" كما يقول الراوي، مواصلا دفقه السردي بين مكونات العمل عبر عبوره الزمني أو تنقلاته المكانية.